

## الوحدة الرابعة للأدبي

**الموضوع الأول:** قيل: (عالج الأدباء قضايا مجتمعهم الاجتماعية والوطنية، فمنهم من رأى الواقع معطى ثابتاً والإنسان فيه مستسلم لشقائه، وآخرون رأوا الواقع معطى متغيراً، يمتلك الإنسان فيه إرادة التغيير والتفائل بصنع المستقبل الواعد) ناقش واستشهد بما مررت به من نصوص.

**الموضوع:** توجه الأديب العربي في أوائل القرن العشرين إلى الشعب بجميع فئاته؛ العامل، والفلاح، والطفل، والمرأة، يأخذ منه مادة حيّة لأدبه، شعراً ونثراً، ويرى في تصوير الواقع ومعايشته ما يتطلّب من الأدب، فتعاطف مع الطبقات البائسة، وأثار المشاعر الإنسانية اتجاهها، ونبه الأنظار إلى ما تبذله من جهود، وما تعانيه من واقعها المتردي.

فصوّر بعض الأدباء معاناة العامل البائس، وسلط الضوء على قسوة حياته، وشظف عيشه، وقد تجمعت في عمره تناقضات الحياة بأقصى صورها؛ لأنه يبني لغيره، فيشقى وينعمون، ويكدّ ويكدح ويستمتعون، فإذا هو أسير ظروفه وبيئته، مجبر على التسليم لشقائه، عاجز عن تغييره، وكانّ الواقع جبل جامد ثابت لا يتبدّل ولا يتغيّر، قال الشاعر زكي قنصل يصف البناء وشقائه:

يبنى القصور وكوخه حرباً      ساءت حياة كلُّها تعب  
دامي الفؤاد يمضيه ألم      ذاوي الجفون يعضه سغب

ورصد بعض الأدباء بعين بصيرة الواقع المأساوي الذي يعيشه الإنسان العربي، فرأوا في واقعه معطى متغيراً، يمتلك فيه الإنسان إرادة التغيير وحرية الاختيار، والقدرة على الفعل، والتأثير في الحياة، وبنائها من جديد، قال الشاعر خليل حاوي يعبر عن التحامه بالجيل النائر من أجل الحرية:

يعبرون الجسر في الصباح خفافاً  
أضلعي امتدّت لهم جسراً وطيداً  
من كهوف الشرق، من مستنقع الشرق  
إلى الشرق الجديد  
أضلعي امتدّت لهم جسراً وطيداً

وانبثق من هذه الرؤية ينبوع من التفائل، الذي يستقرئ الواقع ويؤمن بالكفاح المسلح سبيلاً إلى الخلاص من الواقع السيئ، ويسعى إلى صنع المستقبل الواعد، فكان الأدب لدى أصحاب هذه الرؤية الواقعية وسيلة من وسائل التغيير والبناء وطلوع فجر جديد منتظر على الأمة، قال الشاعر خليل حاوي يعبر عن تفائله بانتصار الحياة:

في صناديقي كنوز لا تبدي  
فرحي في كل ما أطعمت  
من جوهر عمري  
فرح الأيدي التي أعطت وإيماناً وذكرى

وانصرف الأدباء بعد الحرب العالمية الثانية إلى الواقعية الجديدة التي تبنت حركة التحرر الاجتماعي والقومي، وترجمت صراع الإنسان وآلامه ونضاله من أجل البقاء، فكان الواقع منبعاً لأدبها، رأته واقعاً متغيراً يميّز الإنسان فيه بحرية الإرادة والتغيير، فعاش معاناة الجماهير الكادحة، والتحم ببؤسها وشقائها، وصوّر إرادتها ووعيها، بعد أن تحسّست واقعها، وأدركت دور المستغلين في نهبها، قال الشاعر وصفي القرنفلي:

فقرأونا قد حطموا حكم القناعة واستفاقوا  
الجوع ليس من السماء، فمنّ إذا؟ وهنا أفاقوا  
ومضوا فمن متسولين  
على الرصيف لثائرين

وتفائل بطلوع الفجر المنتظر على أمته ومجتمعه، وآمن بقدرة الإنسان على امتلاك مستقبله الحرّ الكريم، وبتحقيق النصر المبين، معتمداً في ذلك على استقراء الواقع والإيمان بالكفاح المسلح طريقاً إلى الحياة الحرّة الكريمة، قال القرنفلي:

ومشت جموع الثائرين  
تطأ الدجى، تطأ السنين  
اقرأ هو الفتح المبين

ونخلص إلى أنّ الأدباء العرب عالجوا قضايا مجتمعهم الاجتماعية والوطنية والإنسانية، فرأى فريق منهم أن الواقع معطى ثابت غير قابل للتغيير، ورأى فريق آخر أن الواقع معطى متحرك قابل للتغيير. والإنسان فيه حرّ قادر على بناء غدٍ مشرق جديد.

قيل: (رأى أديب الواقعية الجديدة في المذهب الإبداعي ما يُعبر عن وجدان الفرد وأحاسيسه، ورأى في الرمزية وسيلة من وسائل التعبير، فاستخدم الرمز اللغوي، والرمز التصويري، والأسطورة التاريخية تعبيراً عن تجارب الإنسانية، ومعاناة وطنية أو قومية أو اجتماعية أو نفسية).

**الموضوع:** اهتم الأديب الواقعي الجديد في العصر الحديث بالتعبير عن تجارب إنسانية، بعد أن وعى الواقع والقوى المحركة له، وأيقن أن الأدب للحياة، يأخذ منها ويعطيها، يتغذى بمسيرة الجماهير ويغذيها، يتعامل مع حركة الواقع انفعالاً وفعلاً، فاستمدَّ صوراً عن قضايا أمته الوطنية والقومية والإنسانية والنفسية.

رأى الأديب الواقعي الجديد في المذهب الإبداعي تعبيراً عن وجدان الفرد وأحاسيسه تجاه الحياة والإنسان والطبيعة، فخلَّق بأحاسيسه الإنسانية السامية في عالم من صنع عواطفه الجياشة، قال الشاعر سعيد عقل يعبر عن حبه وإعجابه بجمال محبوبته:

العَيْنِيكَ تَأْتِي وَحَطْرُ  
يُفْرِشِي الضَّوْءَ عَلَى التَّلِّ الْقَمْرُ  
ضاحكاً للغصن، مرتاحاً إلى  
ضفة النهر، رقيقاً بالحجر

وانكفاً الأديب الواقعي الجديد على ذاته، يستتبط مآزقه الروحية والنفسية، باحثاً عن الخلاص الروحي للإنسان من واقع مستعبد مترد اجتماعياً ووطنياً وإنسانياً، يكثف المعاني والفكر في لغة رمزية، تشع بالإحياءات، تختصر فكره ومشاعره، وتلقي ظلالها على أزمته الداخلية، قال الشاعر خليل حاوي مستخدماً الرمز اللغوي المفعم بالنظرات الإنسانية، لعله يحقق الأمل المنشود:

وكفاني أن لي أطفال أترابي

ولي في حُبهم خمراً وزاد  
من حصاد الحقل عندي ما كفاني  
وكفاني أن لي عيد الحصاد  
أن لي عيداً وعيد  
كلّما ضوؤاً في القرية مصباح جديد

وأحبّ الأديب الواقعي الجديد في الرمزية قدرتها على التعبير عن حالات نفسية مستعصية على التحليل العقلي، معتمداً في ذلك على وسيلتين هما الإحياءات الموسيقية والصور الرمزية، إذ تتعاون الموسيقى مع الصور لتشكل واقعاً ومناخاً جديدين، قال الشاعر سعيد عقل مستخدماً الرمز التصويري للتعبير عن مشاعره تجاه محبوبته:

العَيْنِيكَ تَأْتِي وَحَطْرُ  
يُفْرِشِي الضَّوْءَ عَلَى التَّلِّ الْقَمْرُ  
ضاحكاً للغصن، مرتاحاً إلى  
ضوؤه، إمّا تلفتت دد  
ورياحين فُرَادَى وَرُمَرُ  
ضفة النهر، رقيقاً بالحجر

واستخدم الأسطورة للتعبير عن تجارب إنسانية، مفعمة بمشاعر شفافة، تستشرف الجمال في كل شيء في هذا الكون، قال الشاعر سعيد عقل يعبر عن تأثير عيني محبوبته في النفس والكون، مستعيراً ملامح أسطورية، زين بها شعره، ومنحه أبعاداً إنسانية رائعة:

من ترى أنت، إذا بُحِتِ بما  
خُبَّأتِ عيناك من سرِّ القدر  
حلم أي الجن؟ يا أغنية  
عاش من وغد بها سحر الوتر

وابتعد الأديب الواقعي الجديد عن ارتياد موضوعات الوصف والمعاني والصور المستهلكة، واستضاء دربه الشعري باستخدام الأساطير التاريخية؛ للتعبير عن معاناة وطنية وقومية وإنسانية ونفسية، قال الشاعر خليل حاوي يستتجد بالمعجزات لولادة جيل متمرد على كوابيس الضعف والعجز والتخاذل، ويطعم ذلك بروح أسطورية حية بجمالها:

طفلهم يولد خفاشاً عجوز  
إن من يُفني ويحيي ويُعيد  
يتولّى خلقه طفلاً جديداً  
غسله بالزيت والكبريت  
من نتن الصديد

هكذا نرى أن الأديب الواقعي الجديد قد استلهم الإبداعية في التعبير عن وجدان الفرد ومشاعره، واستوحى من الرمزية وسائل التعبير المختلفة، فاستخدم الرمز اللغوي، والأسطورة التاريخية، ليعبر عن تجاربه الإنسانية، ومعاناته الوطنية والقومية والاجتماعية.